الاخلاق والتربية وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية: دراسة ميدانية في مدينة النجف الاشرف

زاهر يحيى كاظم

Zaher276543@gmail.com

د. أنس عباس غزوان

جامعة بابل/ كلية الآداب

الملخص

لا يمكن ان يكون مجتمع ما على وجه البسيطة خال من التربية والاخلاق ووسائل الضبط الاجتماعية وذلك لأهمية تلك الوسائل والقيم والثوابت في ترابط بنية المجتمع من جهة وبكون المجتمع في دورة حياة لا يمكن ان تتوقف من جهة أخرى، فيبقى المجتمع في حالة فناء واستحداث لكل من يأتي على وجه البسيطة.

علماً ان ازمة الاخلاق الدائمة التحول تعد اليوم في مجتمعاتنا هي من المشاكل العويصة في مدينة النجف الاشرف وبعض المدن العراقية وقد تكون على صعيد الوطن العربي والعالمي في ظل عصر الرقمنة الالكترونية السلبية او المحتوى الهابط، لا نغفل ان جميع المجتمعات تحاول السيطرة والحفاظ على افرادها من الثقافات الدخيلة التي تهدد القيم والأعراف الثابتة في المجتمع والتي تسبب الاخلال بقواعد السكينة العامة للمجتمع.

الكلمات الافتتاحية: الاخلاق، التربية، التحولات الاجتماعية.

Ethics, education, and their relationship to social transformations:

A field study in the city of Najaf.

Keywords: Ethics, Education, Social Transformations

Zaher Yahya Kazem :Researcher

Dr. Anas Abbas Ghazwan

University of Babylon/ College of Arts/ Department of Sociology

Abstract

No society on earth can exist without education, morals, and social control mechanisms. This is due to the importance of these mechanisms, values, and principles in maintaining the cohesion of the social structure, and also because society is in a continuous cycle of life that cannot be halted. Society is constantly evolving and being reborn with each new generation.

Keywords: Ethics, Education, Social Transformations.

تعد أزمة الاخلاق والتربية وتحولات نظم الضبط الاجتماعي من المواضيع التي حظيت باهتمام بعض الباحثين في الآونة الأخيرة في العلوم الاجتماعية وجماً من المحققين والعارفين فيما سلف من العقود الماضية، وهذا العمل يعد حجر الزاوية في الكثير من الجهود المبذولة في مجال التحقيق الأخلاقي والضبط الاجتماعي الرسمي وغير الرسمي نتيجة لما حدث من تطورات مثل العولمة والانفتاح الثقافي.

وعلى الرغم من ان المجتمع العراقي يعيش في ظروف بيئية وظروف اجتماعية مختلفة عن بعضها البعض الا ان هناك وجه تشابه في الاخلاق الاجتماعية العامة ووسائل الضبط الاجتماعي. وهناك بعض من الاتجاهات والتصدعات السلبية التي رافقت المجتمع العراقي ومدينة النجف الاشرف بشكل خاص بعد سقوط النظام البائد، من مظاهر انحلال في بنية الاسرة النجفية مثل ازدياد حالات الطلاق من باب حرية المرأة او استفحال ظاهرة تشغيل النساء في بعض المطاعم او المجمعات التجارية او الكافيهات، وهذا ينم عن تراكمات اقتصادية وسياسية واجتماعية بما مر به الفرد العراقي من ويلات وتعاقب الحروب والحكومات في العقدين الأخيرين، ولا نغفل ان المؤسسات الرسمية مثل البرلمان العراقي ومجلس الوزراء لهم الأثر الأكبر بكونهم أداة من أدوات التشريع والتنفيذ للقوانين واستحداث بعض من المؤسسات الرسمية مثل(مؤسسة العنف الاسري) او سن بعض القوانين المدنية التي تصب في تمزيق الاسرة والمجتمع، حيث تم تعديلها وفق القانون الجعفري مؤخراً.

وفي المجتمع العراقي بشكل عام هناك انعطاف يعتبر الاحدث والاقدر في سياسات التربية والتعليم الذي تحولت بوصلة الأنظار الية الا وهي وضع منهج مادة الاخلاق وتدريسه في المدارس الإعدادية والاهتمام بالباحث الاجتماعي والمرشد التربوي النفسي، لكن على ارض الواقع لا يمكن ان يظهر هذا النتاج على المدى القريب ولم يرى الحاضنة والظروف المثالية ليبزغ نورها الى العلن وعلى ارض الواقع في توجيه سلوكيات الكادر التربوي والطلابي في مدينة النجف الاشرف.

الفصل الأول

المبحث الأول: عناصر الدراسة الأساسية

تمهيد: تعد عناصر الدراسة الإطار الذي يقوم عليه البحث العلمي، حيث تضمن هيكلًا منظمًا يساعد في الوصول إلى نتائج موثوقة ومبنية على أسس علمية. وتبدأ الدراسة بتحديد المشكلة البحثية التي تُعبر عن القضية أو الظاهرة التي سيتم تحليلها، الامر الذي يبرز أهمية الدراسة في سياق الواقع أو المجال المعني. بعد ذلك توضع الأهداف البحثية التي تحدد ما يهدف الباحث إلى تحقيقه من خلال دراسته.

اولاً: مشكلة الدراسةstud problem))) يتعرض المجتمع العراقي المعاصر الى ازمة أخلاقية عصفت بكل القيم والأعراف والتقاليد المتعارف عليها والنظم الاجتماعية وبالخصوص منظومة الضبط الاجتماعي التي اضعفت ضبط العلاقات في ميادين الحياة المختلفة، على الرغم من فخامة الرصيد والارث الثقافي والحضاري العريق الذي دق اوتاده في اطناب التاريخ من قيم أخلاقية ومناعة اجتماعية قائمة على(العيب) و (الحرام).

تعد التربية والاخلاق الفاضلة هي المنفذ الوحيد والمخلص لتحقيق الضبط الاجتماعي التعاوني المقرون بالإنسانية العظيمة التي تصنع من الافراد اشخاص مثاليين في الرقي الذي يسمو اليه العديد من المجتمعات الحديثة.

ثانيا: أهمية الدراسة **(Significance of the Study)** بعد الاهتمام الكبير من قبل الكثير من علماء الاجتماع والمفكرين والباحثين في دراسة الاخلاق والتربية وعلاقتها بالتحولات الاجتماعية مثل الضبط الاجتماعي الداخلي والخارجي وخاصة في العقود الاخيرة من الالفية الثانية، وما يتداعى منه من ترسبات وتصدعات في المنظومة الأخلاقية للمجتمعات الإنسانية، وهذا التحول الكبير والسريع الذي طرأ على الانساق الاجتماعية في المجتمع العراقي بعد عام ٢٠٠٣م جعل من الضبط الاجتماعي الرسمي وغير الرسمي ذات الأهمية القصوى في تدعيم النظام الاجتماعي والأخلاقي حسب كل مجتمع نعيش فيه.

وتبدو أهمية موضوع الضبط الاجتماعي من خلال ادراكنا ان الضبط الاجتماعي هو احد المقومات الأساسية في بناء المجتمعات الحديثة من خلال وسائله ومصادره الاجتماعية بعد التظافر وجمعها في بودقة واحدة، فلا يمكن ان نشاهد مجتمع او بناء اجتماعي خاليا من تلك القواعد والاسس والمصادر والوسائل التي تضبط سلوك الافراد في الداخل والخارج ومع البنى التنظيمية الأخرى داخل المجتمعات، ولعل ما لفت انتباه الباحثين الى أهمية هذا الموضوع هو كثرة التصدعات التي صابت البنية الأساسية للمجتمع مثل انتشار الجرائم والغش والتدني الأخلاقي الذي طرأ ما بعد عام ٢٠٠٣م، وهنا لا بد ان تتجلى حقيقة الضبط الاجتماعي في

مواجهة الافراد داخل المجتمع وقيامة بوظيفته وقدرته على تنظيم سلوك الافراد بما ينسجم مع السياق العام المتعارف عليه.

ثالثا: أهداف الدراسة (Objectives of the Study)

يمكن تحديد اهداف الدراسة على النحو الاتي:

١-معرفة دور الاخلاق في عملية الضبط الاجتماعي في المجتمع النجفي.

٢-معرفة وتحديد اهم وسائل الضبط الاجتماعي ومؤسساته.

٣-تحديد مصادر ومؤسسات الاخلاق في المجتمع

المبحث الثاني: تحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية:

١-الأخـلاق: هي كلمة الاخلاق في اللغة العربية جمع ((خلق)) وتعني العادة، ويقول ابن منظور في لسان العرب اشتقاق خليق وما أخلقه من الخلاقة وهو التمرين، من ذلك نقول للذي ألف شيئا: صار له ذلك خلقا أي مرن عليه، ومن ذلك الخلق الحسن (محمد مهران. ص١٩).

ويقول الراغب الاصفهاني المراد من الخُلُق بالضم وبتضمين السجية والطبع والمروءة والدين (أبو القاسم بن احمد المعروف بالراغب الاصفهاني. ص١٦٤).

٢-التربـــية: التربية تشير الى أنواع النشاط التي تهدف الى تنمية قدرات الفرد واتجاهاته بالإضافة اشكال السلوك ذات القيمة الإيجابية في المجتمع الذي يعيش فيه حتى يمكنه ان يحيى حياة سوية في هذا المجتمع. والتربية أوسع مدى من التعليم (Teaching) الذي يمثل المراحل المختلفة التي يمر بها المتعلم ليرقى بمستواه في المعرفة العلمية وعمق الادراك (فاروق عبد فليه. ص٨٩).

٣- التحولات الاجتماعية: عملية التغير البنيوي التي تستهدف الانساق الاجتماعية المختلفة (الاقتصادية، والسياسية، والثقافية) وتؤدي الى إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية ونمط الحياة اليومي، وهي تختلف عن التغير الاجتماعي التقليدي بكونها أكثر عمقا وشمولية حيث لا تقتصر على تعديلات جزئية بل تمتد لتغير الأسس والقواعد التي يقوم عليها المجتمع (أنتوني غيدنز. ص١١٢).

الفصل الثاني المبحث الأول: الاخلاق عبر التاريخ والعصور

أولا: التأمل والتفكير في دور الاخلاق بحياة البشر:

يرى علماء علم الاخلاق والمحققين ان الاخلاق هي شكل الوجود الصادر عن النفس البشرية من دون تفكير، قد يطلق على الفعل الصادر عن تلك الهيئة والأخلاق جمع الخُلق، فمن المعنى المتقدم أعلاه يتضح ان الاخلاق هي (المنفعة الأساسية في حياة الانسان) فلا تحرم نفسك منها، فمتى ما كان النظام الأخلاقي للإنسان صحيحاً، كان ضمان حضوره راسخاً وقوياً، فيطبق واجباته بكل سعادة وطمأنينة ورضى، اما لو كان النظام الأخلاقي مضطرباً فقد يفقد

الفرد طريقه فيعظم عنده الشقاء والكبر، فلا نغفل ان عامة العلماء والمفكرين والفلاسفة لا ينكرون دور الاخلاق في بناء حياة اليوتوبيا الاجتماعية، كما يرى المربي الصيني الكبير " كونفوشيوس " ان الاضطراب والقلق وعدم الطمأنينة أمراض سيكولوجية لا علاج لها الا مكارم الاخلاق، فالأخلاق تدعوا الى الخير والصلاح الاجتماعي وتستطيع ان تبسط العدل والسلام في العالم كلهُ بشكلً يجعل (الزنجي الافريقي والأبيض الأوربي يعيشان جنبا الى جنب في الدول الغربية التي تدعي بالحرية الجوفاء) فالأخلاق تصفي القلوب وتنعش النفوس وتجعل الناس مصدراً للخير والعمل الصالح، والأخلاق تكسو مدينة أفلاطون الفاضلة ثوب التحقق وتبلغ بالإنسان مقاماً يكون في عداد الملائكة بل ارقى منزلة ومرتبة (جواد سعيد الطهراني. ص٦٣).

ثانياً: الاخلاق ومكانتها في المجتمعات والأديان الإنسانية قديماً:

الأخلاق الحميدة هي سر بقاء الأمم، ولا بقاء لأمة تفرط في اخلاقها وتتنازل وتتهاون في قيمها ومبادئها الروحية وصدق الشاعر احمد شوقي حينما قال:

إنما الأمم الأخـــــلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخـــــلاقهم ذهبوا

إذا ان الحياة الاجتماعية لا يمكن ان تخلوا من الاخلاق الحسنة لساخت الأرض وأصبحت بلا طعم إذا فان ضرورة الاخلاق المادية والروحية من الثوابت يجب ان تكون عند المجتمعات، ولو تصور القارئ الكريم ان مجتمع ما اهملت فيه الاخلاق الفاضلة وسادت بين افراده الخيانة والفسق والكذب والغش والسرقة وسفك الدماء والتجاوز على الطرقات العامة والسياقة عكس السير وتغيب دور القائد في المجتمع كرموز دينية والتعدي على الحرمات والحقوق، كيف يمكن ان تكون هذه حياة؟ قطعا ستكون جحيماً ويتحول الناس الى وحوش ضارية بعد ان سلبت منهم الإنسانية، وهكذا ان الاخلاق ضرورة اجتماعية وضرورة فردية فهي ملاك الفرد الفاضل، وقوام المجتمع الراقي، يبقى ويستقر ما بقيت ويذهب ويتلاشى إن ذهبت، لا حياة بدون الاخلاق (جمال نصار. ص٢٥-٢٦).

١- الحضارة اليونانية:

الفلسفة اليونانية صاحبة التأثير الأكبر على الفلاسفة المسلمين وكانت بالغة الأهمية لهم من حيث الاستفادة وخصوصاً أفلاطون وارسطو، ومن بين الفلاسفة المتأثرين بهم الفارابي (٣٣٩هـ)، ومسكويه (٤٢١هـ)، وابن سينا(٤٢٧هـ)، والغزالي (٥٠٥هـ)، وابن رشد(٥٩٥هـ)، وقد بدأ الاهتمام بمبحث القيم والأخلاق مع بدايات الفلسفة اليونانية، وخصوصاً عند افلاطون وسقراط وارسطو قبل الميلاد، وسنكتفي بالحديث عن فلسفة الاخلاق الخاصة بهم ومدى تأثيرها بفلاسفة الإسلام والغرب، فكانت الاخلاق عند (سقراط) هي اول محاولة للأخلاق العقلية الحرة في تاريخ الفلسفة لذلك عد مؤسس الفلسفة الأخلاقية في العالم الغربي، وان الاحكام الأخلاقية عنده لا تكون عنده كيفما اتفق بل تتولى حسب نظام عقلي ثابت يأخذ بعضة بلحاظ بعض

وتتلاقى حلقاته بشكل تسلسلي في المراتب ويكتشفه العقل وحدة، وكانت أفكاره تتمحور حول فضائل خلقية اربع هي معرفة النفس، والعلم، والقناعة، والعمل، كما اعتبر معرفة النفس ركيزة النجاح في الحياة وتتحقق بتمثيل الانسان للقاعدة المكتوبة على معبد "دلفي والتي مفادها ((اعرف نفسك بنفسك)) فمتى عرف نفسة اختار ما يصلح وما لا يصلح له(جمال نصار. ص٣٠٦-٣٠٧).

٢- الحضارة الفارسية

تعد حضارة بلاد فارس من الحضارات العالمية التي نشأت حوالي في القرن السادس قبل الميلاد واشتهرت بالإمبراطورية الفارسية وهي خليط من الشعوب بحكم موقعها في شمال شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، ثم تطورت تطوراً عجيباً واتسعت رقعتها الجغرافية ثم انتهت بظهور الإسلام، فامتازت بقوتها العسكرية ومرت بالعديد من الحروب والاحداث التاريخية الكبرى، لذلك لم تُعرف الأديان السماوية في تاريخ الحضارة الفارسية الا في نطاق ضيق، وكان أكثر سكانها يعتنقون المجوسية، وظهرت عندهم الزرادشتية في القرن الثالث الميلادي وهو اهم ما يلفت النظر ويستوقف الباحث في تاريخ الفكر عند الفارسيين قديماً، واصبحت ديناً للدولة(علي عبد الواحد وافي.ص١٤٣).

٣- حضارة بلاد وادي الرافدين

تعتبر حضارة بلاد وادي الرافدين من الحضارات القديمة فتميزت بالنظام الأخلاقي والتربوي المتواشج مع الدين أي لم يتم فصل او عزل الدين عن الحياة كما فعلت بعض الحضارات والأديان السابقة، بكون ان العراق القديم انه مستقى بشكل مباشر من التجربة الحياتية للإنسان، فلذلك لم يروا الحكماء أي ضرورة لربطه بأسانيد ومفاهيم دينية، بكون الدين كان رديفا وداعما لهذه الاخلاق في حياة بلاد الرافدين، مما جعل كثير من الباحثين يصفون النظام الأخلاقي فيها بالواقعية، ومن هؤلاء الباحثين صوموئيل نوح كريمر الذي قال عن السومريين(هم اقدم الاقوام العراقية القديمة) امتازوا بروعة أفكارهم ومثلهم وقيمهم السامية في الاخلاق والرقي والتقدم مثل الاتزان في العقل ووضوح الرؤية(باسم محمد حبيب. ص٢٥).

المبحث الثاني: الدراسات السابقة (الدراسات العراقية)

١-(دراسة الباحث سفانة احمد داود سليمان: الضبط الاجتماعي في الإسلام ٢٠٠٥م) تعد الدراسة هذه من الدراسات الاجتماعية المهمة في علم الاجتماع الديني في مدينة الموصل والتي من خلالها بينت ان للدين وخصوصا الإسلام دور كبير في الضبط الاجتماعي من خلال مؤسساته الجامع والاسرة والمدرسة والجماعات الاجتماعية كما اكدت الدراسة على اهم وسائل الضبط الاجتماعي مثل الراي العام والقيم الاجتماعية والمعايير الاجتماعية (سفانة احمد.٢٠٠٥م).

-2 دراسة الباحث عبد الحسن جواد حبيب العباسي: دور مؤسسات الضبط الاجتماعي الرسمية في مكافحة الجريمة ١٩٩٨م) تعتبر هذه الدراسة من الدراسات التي المهمة في مدينة بغداد الكرخ والرصافة التي حاولت وأكدت على أهمية مؤسسات الضبط الاجتماعي الرسمية وتفعيلها وتوظيفها بشكل فعال ووضع التدابير الاحترازية للوقاية او الحد من عوامل الانحراف المجتمعي في تلك الفترة بعد ان تعرض المجتمع العراقي الى بعض التصدعات والظروف الاقتصادية من حصار اقتصادي وحروب وازمات سياسية واجتماعية أدت الى ارتفاع معدلات الجريمة المنظمة، لذا ركز الباحث على تفعيل المؤسسات الرسمية مثل (مؤسسات الإصلاح الاجتماعي، المحاكم، القضاء، وقوى الامن الداخلي بكامل تشكيلاتها) وذلك لإتاحة الفرصة للأفراد داخل المجتمع لأداء مهامه ومسؤولياته لضمان سلامة المجتمع وامنة وضمان تقدمة في كافة الميادين(عبد الحسن جواد.١٩٩٨م).

المبحث الثالث: النظريات المفسرة (نظرية الضبط الاجتماعي)

أولاً: نظرية النظام الطبيعي

سادت نظريات الضبط الاجتماعي وأزهرت في القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر بأفكار تنادي بفكرة القانون الطبيعي Natural Lawوترى ان السلوك البشري مدعوم بغرائز توجههم نحو طريق معين، وان هذا الطريق محكوم ضمن حياة اجتماعية منظمة يسودها القانون والضبط الاجتماعي مما حتم عليهم الالتزام بذلك القانون وبقواعد الضبط الاجتماعي (غريب سيد احمد. ص٢٧٩). وتعد نظرية ادوارد روس "Ross " في الضبط الاجتماعي من أشهر تلك النظريات التي كانت على شكل مقالات عديدة بعد ان وحدها في كتاب "الضبط الاجتماعي" الذي ظهر ١٩٠١م، الذي عالج فيه الضبط الاجتماعي معالجة شاملة متوخياً إعطاء الموضوع صورته النظرية الشاملة (غني ناصر. ص٨٦).

١-النظام الطبيعي:

أن النظام الطبيعي عند" أدوارد روس "هو جوهر نظرية الضبط الاجتماعي الذي يعتقد ان داخل النفس البشرية أربع غرائز طبيعية تشكل نظاما اجتماعيا للإنسان وتنظم علاقاته بشكل ودي بين افراد المجتمع وتجعل منه كائناً اجتماعيا متعاوناً هي " المشاركة، القابلية للاجتماع أو العشرة، والاحساس بالعدالة، والشعور العضوي او رد الفعل الفردي "، حيث تشكل جميع تلك الغرائز التي اودعها الله في الفرد نظاماً طبيعياً فطريا اذا لم تتعرض النفس البشرية الى تصدعات الحياة من أصدقاء واسرة ومجتمع، أي يعيش الفرد بشكل ودي بين افراد المجتمع فيما يخص العلاقات الاجتماعية، أي كل غريزة تدعم وتكل الأخرى لبلوغ الفرد الى نظام تكاملي يدعم العلاقات الاجتماعية مثل غريزة التعاطف او المشاركة تجعل من الفرد متعاوناً ولا يتجاوز على ضوابط المجتمع الذي ينتمون له، اما القابلية للاجتماع او العشرة فتعني ان الفرد لا يمكن

ان يعيش مع سنخ اخر من الكائنات فلا بد ان يعيش مع بني جنسه ويحترم ضوابطهم الأخلاقية والاجتماعية، اما غريزة الإحساس بالعدالة تقوم بنئي الفرد عن سلب حقوق الاخرين فيكون المجتمع ضمن اطر الضوابط الاجتماعية الحسنة، اما غريزة ردة الفعل الفردي تعني شعور الفرد بألم اذا أصيب بأذى جسدي بالغ الخطورة في أي عضو من أعضائه، فيتولد لديه شعور بعدم انزال الأذى بحياة الاخرين، وان هذه النظرية تؤمن بأن المجتمعات كلما تطورت تعقدت وضعف جوهر تلك الغرائز فيتم بروز المصلحة الشخصية، فيضطر المجتمع الى وضع ضوابط من صنع الانسان تحكم العلاقات بين افراده(عبدالله الرشدان. ص٢٠٨-٢٠٩).

نظرية الضوابط التلقائية:

ان نظرية الضوابط التلقائية عند" سمنر "تؤكد على الأعراف والسنن والعادات الشعبية في تنظيم السلوك الاجتماعي وهذه الضوابط يتم استخدامها الافراد دون وعي منهم في تنظيم حياتهم وما تتركه من إثر على المجتمع كي ينضبط من خلاله السلوك الفردي والاجتماعي الى حدا بعيد، ويرى " سمنر" ان للأعراف أهمية بالغة في ضبط التفاعل الاجتماعي Social Interaction وصياغة النظم والقوانين، ويرى كذلك ان من المستحيل ان نضع حدا فاصلاً بين الأعراف والقوانين أي في صورة الجزاءات فالجزاءات القانونية تعتبر اكثر عقلانية وتنظيما من الجزاءات العرفية لإلزام تنفيذه(Sumner, W.p.٧٩).

٣- نظرية الضبط الذاتي:

نمت فكرة الضبط الذاتي عند " جارلس هوتون كولي "في مؤلفاته عدة على سير وخطى "روس " فيرى "كولي" ان الرموز والانماط والمستويات الجمعية والقيم والمثل يعتمد عليها المجتمع في تنظيمه الاجتماعي، فهو يرى ان الضبط الاجتماعي هو تلك العملية المستمرة التي تكمن في الخُلق الذاتي للمجتمع، أي انه ضبط ذاتي يقوم به المجتمع، فالمجتمع هو الذي يضبط، وهو الذي ينضبط في ان واحد، وبناء على ذلك فان الافراد ليسوا منعزلين عن " العقل الاجتماعي " بل هم جزء منه، والضبط الاجتماعي يفرض على الكل الاجتماعي، فقد رفض" كولي " تلك فكرة الغرائز التي جاءوا فيها قبلة ، واستخلص من ذلك ان سلوك الفرد ينضبط الى اعلى المستويات من خلال نمو الضمير عن طريق المشاركة، ولو ان هذه العملية تتم بطريقة لا شعورية وغير مقصودة، ولهذه فان الضبط عند كولي متضمن في المجتمع ذاته وينتقل الى الفرد عن طريق المشاركة(سامية محمد.ص٣٤).

الفصل الثالث: الضبط الاجتماعي واخلاق المجتمع

المبحث الأول/ وسائل الضبط الاجتماعي:

وسائل الضبط الاجتماعي في العلوم الانسانية تعد من المشاكل الأساسية في السوسيولوجيا الاجتماعية العراقية فسوف اعنى بالوسائل التي يتحقق بها الضبط الاجتماعي لما حصل من

طفرة نوعية للمجتمع في ضل العولمة والرقمنه الالكترونية ولا نغفل أيضا ان لكل مجتمع وسائلة الخاصة والفترة الزمنية والمكانية والخلفية الثقافية للأفراد ومدى استجابتهم في تحقيق الموائمة والدور العميق الذي تلعبه هذه الوسائل في الكبح من جماح الحشود ام الافراد.

أولا: التربيةEducation : أما لفظة التربية هنا لا بد ان تأخذ حيز أكبر من باقي وسائل الضبط الاجتماعي، وهنا يمكن ان نبين لفظة التربية من الجانب اللغوي فتعود الى أصول ثلاثة وهي:(ربا)، و(ربي) و(رب) فالأصل الأول: ربا _ يربو: بمعنى نما ينمو. والاصل الثاني: ربي _ يربي: بمعنى نشأ وترعرع. والاصل الثالث: رب _ يرب: بمعنى أصلح، وساس، ورعا، وتولى (إبراهيم ناصر. ص٣١).

ويميز (ديوي) بين نوعين من التربية، تربية سلفية التي تفرض معارفها واساليبها وقواعد السلوك من الأعلى من معلمين واكتساب ومهارات وتقنيات بالتدريب والاعداد لمستقبل بعيد ولأهداف ثابتة، وتربية تقدمية تسمح بالنشاط الحر، والتعلم بالخبرة، وباكتساب مهارات لإنجاز غايات، واستثمار الفرص المتاحة في الحاضر، للتكيف مع عالم متغير (مراد وهبه. ص١٨٠).

ثانيا: الدين **The Religion**:

هناك اعتقاد عند كل من) جيفونر Jevonerوروجيه Rogehوباستير (Bastier ان هذه الكلمة تعني الرهبة والخشية والاحترام وخاصة في الديانات السماوية كالدين الإسلامي والمسيحي واليهودي. ويعرف ماكس مولر Max Moller الدين هو عبارة تعبير عما يمكن تصوره والتطلع الى الله جل جلالة باعتباره الكمال المطلق اللانهائي أما ريفيل Reville فيعرفه هو توجيه الفرد لسلوكه القويم للشعور بالصلة بين روحه وروح خفية يعترف لها بالسلطان عليه وعلى سائر الكائنات الأخرى ويحاول ان يكون على صله دائمة بها، ولا نغفل أيضا ما قالة اميل دوركهايم (ان روح الدين تبدوا واضحة في تقسيمه الأشياء والظواهر الى قسمين الأول مقدس Sacred والثاني دنيوي Profane ويؤكد ان الدين صادر عن المجتمع نفسه فقد اقتضه ضرورة اجتماعية وهي إيجاد التماسك الاجتماعي والمحافظة عليه) (عبد الله الخريجي. ص٢٨-٢٩).

فيعرفه دوركهايم " Durkheim " بانة نسق موحد من المعتقدات والتطبيقات متصل بأشياء مقدسة، توجد في مجتمع أخلاقي واحد يدعى الطائفة الدينية وتشمل كل الافراد الذين يتمسكون بها، بعد ان اعتبر ان الدين مكون اجتماعي يعزز التماسك الاجتماعي والأخلاقي (Durkheim, E,p.١٤٩).

ثالثا: القانون The Law

يعرف القانون بانة مجموعة من القواعد القانونية العامة والمجردة والملزمة التي تخاطب كافة افراد المجتمع ويكون معرض المساءلة والعقاب حين يتم الخروج عنها تحت أي مبرر (حسام الدين محمود. ص١٣).

ينظر الى القانون كوسيلة مهمة من وسائل الضبط الاجتماعي ويعتبر قمة التنظيم الاجتماعي للسلوك الإنساني لان القانون يحدد ما يجب ان يفعله الفرد وما يمتنع عنه في سلوكه وافعاله اليومية، وان القانون من الوسائل التي تكون عملة لوجهين وجهه عقابية جزائية ووجهه علاجية اصلاحية وهذه الأوجه تكون في المجتمعات المتقدمة جدا وان هذه المجتمعات تسمى مجتمعات قانون، أي انها مجتمعات تكون فيها البيروقراطية بدرجة عالية لا تخلو من الأعراف والتقاليد لكن القانون يعلو عليها، ويجب ان يكون القانون أداة شاملة تغطي كل جوانب الحياة في المجتمعات المعاصرة التي تدعي بالديمقراطية الجوفاء(احسان محمد الحسن، عدنان سليمان. ص١٠٩).

رابعا: العرف**The Norm**

العرف مفهوم واسع النطاق يشمل جميع المعتقدات التي تسري بين الناس، ويكون الناس ملزمون بهذه المعتقدات بكونها وسيلة ضغط تستمد قوتها من المعتقدات التي تسود فكر الجماعة وقيمها، والتي لا يستطيع الافراد الخروج عنها الا بحدود ضيقة، ويعرف العرف بأنه: المعنى المتداول للاستعمال والعادات والتقاليد عندما تتضمن حكماً بأنها تؤدي الى رفاهية المجتمع ومصلحته العامة وأنها تمارس الزاما على الفرد لكي يطيعها وفق ما يكون سلوكه مطابقا للأعراف على الرغم من ان العرف غير مفروض على الفرد من سلطة رسمية معينة(حسام الدين محمود. ص٢٤). كما تعتبر الأعراف ذلك السلوك المقبول لدى غالبية افراد المجتمع (Gerad. O Donnell.p10).

خامسا: الرأي العام Public Opinion

الرأي العام مفهوم غير محدد تحديدا دقيقا، وقد يأتي استخدامه في عدة طرق، وعلى الأرجح بوجه عام يشير الى موافقة او عدم الموافقة لقطاع معين من المجتمع عن بعض السلوكيات والمواقف العامة، ويتم قياس الرأي العام في العادة عن طريق استطلاعات الرأي. معنى ذلك انه يعد مرادفا لما تردده الاستطلاعات عن أمور (الاخلاق او سلع استهلاكية مفضلة او سياسة او كوارث) او غير ذلك من الموضوعات. وأكثر المجموعات التي أجريت دراسات لاستطلاع رأيها هم البالغون في سن العمل ويختلف هذا السن باختلاف الدول والمتقاعدين وكبار السن(جوردن مارشال، ترجمة محمد الجوهري. ص١٦٨).

فمنذ القدم جعل (هيرودوت) و(ثو سيديد) الفارسي (اورانيس) يتحدثون عن فضائل صوت الشعب. وقبل خمسمائة سنة تحدث (نيكولا ماكيافيل) عن صوت الشعب وجعلة ركيزة السلطة لأنه كان يقول (من الضروري ان نكون موضع محبة الشعب وثقته، طالما انه الأقوى والاقدر) وجاء بعدة جون لوك التنويري وقال (لا بد من ان نعطي قيمة كبيرة لما يسمى ((بالروح العامة)) وهذا ما يسمى بالتجرد والتخلي عن المصالح الخاصة والذهاب الى التبادل المشترك في بث

الخير داخل المجتمع وينعكس على الرأي العام بشكل مباشر (جيل فيرول، ترجمة انسام محمد الاسعد. ص١٣٠).

سادسا: القيم الاجتماعية **Social Value**

شكلت القيم الاجتماعية الوجه غير المعلن للتجربة البشرية، بعد ان رسمت ملامحه الأساسية من خلال الضمير الحي للمجتمع ووجدانه، فالقيم من حيث المبدأ عفن الفرد من مغبة التناقض والصراع وتقود الانسان الى العفوية والفطرة الأساسية، كما تنطوي كل ثقافة على قيم تقليدية تشكل نسيج الشخصية الإنسانية وتصبح جزأ لا يتجزأ منها. وهذه القيم هي عمود شخصية الانسان الواعي، وكل تغير يهدد هذه القيم يصبح خطرا يهدد كيان الشخصية، وان حصول أي خلل في القيم الشخصية للفرد والاجتماعية سيؤدي الى ما اسماه علماء الاجتماع (بالشخصية المضطربة) فتصبح تلك الشخصية أكثر عرضة للتفكك واستعدادا لتشرب القيم الجنبية الدخيلة وبالتالي تقود الفرد الى الانعزال عن مجتمعه ويصبح مغتربا عن واقعة الاجتماعي (علي وطفة. ص٢٥-٣٤-٣٥).

المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية والثقافية وأثرها في ازمة الاخلاق الاجتماعية

تدل كلمة " ثقافة " في اللغة العربية من الناحية الاشتقاقية على الفطنة والذكاء أي على ملكات الادراك والتميز والحكم التي ينفصل بها الانسان، ومن ذلك قول العرب القدامى : ثقف الرمح اذاً هذبها مقوما ما بها من الاعوجاج الذي جاء ما بعد الفطر الالاهية، والمثقف هو من يقوم ذلك الاعوجاج ويوسع دائرة الإيجابيات ويقلص دائرة السلبيات، فالإنسان من حيث هو حيوان طبيعي _ كائن معوج لا يقوم الا بالعقل، ولا قوام للعقل الا بالشرع، أي اذا ساد العقل على غرائز الفرد كان انساناً، واذا لم يسد كان جاهلاً وبهيمة وحيواناً طبيعياً، اذا إنسانية الانسان موجودة بالفطرة السليمة بعد ما يخرج الانسان الى عالم الدنيا يكتسب السلوكيات والأخلاق هي التي نسميها اليوم في العلوم الإنسانية الراهنة بـ " الثقافة "(عبد السلام حيمر. ص١٥-١٦). فالثقافة عرفها " تايلور " وهو من أوائل علماء الانسان الذي تحدث عن الثقافة بأنها ذلك الكم المركب الهائل والمعقد الذي يشمل المعتقدات والمعرفة والفنون والأخلاق والقانون والعرف والعادات وسائر الممكنات التي يمكن ان يحصل عليها الفرد بكونه عضواً في المجتمع (إبراهيم ناصر. ص ١٢٥).

١-الحداثوية والتطور من منظور اخلاقي(العولمة)

في عصرنا الحالي لا بد ان تحظى الاخلاق في جميع المحافظات العراقية والمجتمعات المجاورة لبلدي العراق بنوع من الأهمية القصوى والدراسة العلمية المنمقة، بعد ان يعزى السبب الى عدة عوامل اجتماعية وثقافية مثل ازدهار الصناعة في الالكترونيات ووجود بعض البرامج التي تسللت للهواتف النقالة ومن ثم استقرت في المنازل مما خلف نوعا من الانانية والغرور

والتفكك الاسري الأخلاقي، مما جرأ الافراد على ارتكاب المعاصي، بكون ان اغلب توجهات الانسان المعاصر تتجه نحوا المسائل المادية بشتى الطرق والوسائل، بعد ان ساعد التطور على التنكر والعلن للأمور الأخلاقية، وان الناس اليوم (لا يشعرون بالقلق والخوف او الخجل من الأمور السيئة او الذنوب بل يقدمون على الجرائم بأحدث الوسائل والطرق بكل وقاحة وصلف، ففي عالمنا المعاصر انتشرت المفاسد الاجتماعية بما فيها الظلم والقتل والخطف والرشوة والبخس في الميزان والتعري الفاضح الذي عم المجتمعات العربية، مما اوجد تعقيدا واضحا في الحياة، مما أدى الى نقص معنوي وروحي واضح لدى الكثير من أبناء المجتمعات، وتتمنى حصول ما يزيل هذا النقص بأسرع ما يمكن، ليعود الانسان الى التخلق بالأخلاق العظيمة، وهنا ملاحظة جدا مهمة بعد ما جذبت هذه الإنجازات العلمية والالكترونية نحو عالم الطبيعة الخلابة الى درجة انه نسي عالم الخلق والفطرة، وسحرته العلوم المادية حتى انه لم يعد يتذكر المعارف الإلهية. مع انه أساس سعادة الانسان والضمانة لتنفيذ مكارم الاخلاق، في المقابل وسع هذا التطور والتقدم من ميدان نشاط الغرائز والشهوات النفسية، مما فسح المجال ليكون اسيرا لعبادة الاهواء المادية والسيئات الأخلاقية، فكانت النتيجة هبوط في الصفات الحميدة والسجايا الإنسانية بعد فقدت محتواها المضمون (فولدت الانانية وطلب الجاه والظلم والفساد الإداري والأخلاقي) كما اشرنا أعلاه، اذن فلا بد من احداث تحول وتغير جذري في المخرجات الثقافية في المجتمع، ليتجه الافراد صوب اخلاق اهل البيت عليهم السلام، وينعتقوا من حياة التحلل والخوض في الملذات، فلا بد من الرجوع الى استخلاص اخلاق دين الإسلام والخالق، وذلك لفشل ما سواهم على الصعيد العملي(محمد تقي فلسفي. ص١٧).

٢- المنظومة الأخلاقية في المجتمعات المأزومة وتحدياتها في ظل المجال الرقمي والاجتماعي

تعرضت المنظومة الأخلاقية للمجتمع العراقي في العصر الحديث الى هزة أرضية او (زلزال) مدوي يؤثر ويتأثر بالمجتمعات العربية المحيطة به، من خلال انحراف بعض الشباب عن القيم والعادات والتقاليد السائدة والمرعية في مجتمعهم العربي عامة والعراقي خاصة، وعن القوانين الوضعية والتشريعات المنزلة في الدين الإسلامي المعمول بها في هذه المجتمعات المحافظة، واتيان البعض بأفعال تخالف أنماط السلوك المقبولة اجتماعياً والمتفق عليها اجتماعيا بالنسبة للأسوياء، فاليوم نلاحظ الكثير من المفاهيم والمصطلحات الغريبة التي لم نسمع بها قبل عراق ٢٠٠٣م، مثل " محتوى هابط او الجندر او شعار المثلية او عيد الهالويين او عيد الحب او دخول الكاميرات الشخصية الى غرف المعيشة الخاصة " لبعض العوائل في مجتمعاتنا الشرقية المحافظة التي لا يمكن ان تنصاع الى الثقافة الغربية الدخيلة، واقولها بصراحة بل تجاوزنا الغرب بكثير وكثير، وهنا يختلف علماء النفس وعلماء الاجتماع من ناحية وعلماء القانون من ناحية أخرى في نظرتهم الى هذا السلوك المنحرف وفي تعريفهم له " فيعرفونه بأنه:

ذلك الشخص الذي يسلك سلوكاً مغايرا للسلوك المعترف به في المجتمع ويأتي بأفعال تخالف أنماط السلوك المتفق عليها بالنسبة للأسوياء، اما من النظرة القانونية بانه: ذلك الشخص الذي يسلك سلوكا تؤدي نتائجه الى الحاق الضرر بنفسه او بمن يحيط به ويعاقب عليه القانون(عبد العزيز فتح الباب. ص١٢٦-١٢٧).

-3 الجهل المركب في المجتمع:

يعتبر الجهل المركب من الآفات المنتشرة في المجتمع العراقي ويعد طامة كبرى، فالشاب/ة الجاهل الذي لا يعرف كيف يبدأ؟ وكيف يسير؟ والى اين ينتهي؟ كالأعمى يقوده جهله الى المهالك والمزالق والانحرافات وفي أي مطب وحفرة قد يسقط، وانه قابل للإغواء والاستدراج والخداع ببساطة، والجهل يأتي من عدة جوانب كضعف الجانب الثقافي وهشاشة التجربة في الحياة وعدم الاستفادة من تجارب الحياة السابقة وقد يرتطم بمشاكل متماثلة مراراً لأنه ساذج وسطحي ومغفل وهنا لا ينتبه الى جهله وانحرافه الا مؤخرا أي بعد دفع الضريبة ثمنا باهظا لجهلة المركب، قد (يسجن، يطرد من البيت، يخلع من العشيرة، ينبذ من قبل أصدقائه) وقد تص به الأمور الى النبذ اجتماعياً وهذا ما يجب ان يعمل به المجتمع(خيري خليل الجميلي. ص٥٢).

٤-الحرية في زمن الحداثة السائلة:

ان قوة التداخل والترابط بين هذين المفهومين (الحرية والحداثة) خلقا نوعا من الضبابية والشمولية قد تواشجت عند بعض الافراد داخل المجتمع ونتج عن ذلك ضهور مفهومين حديثين الولادة بعد ولادة قيصرية عصفت تداعياتها برحم المجتمع الحالي وهما (الحداثة السائلة والحداثة الصلبة) وما تبعهما من ارهاصات ومخاض وما يصاحبها من تقلصات(متصلبة) مثل العقلانية والقيم والأخلاق الحميدة اما (السائلة) تمثلت بذوبان الهوية الفردية والوطنية، اذا ان الاحتفاظ بالماضي يؤدي دورا حيويا في تشكيل الحاضر، فالجماعات التي تفقد ذاكرتها تفقد هويتها، وفقدان الماضي يؤدي بالضرورة الى فقدان الحاضر والمستقبل(زيغمونت باومان. ص٢٥-١٦٩).

المصادر

١- د. محمد مهران رشوان، تطور الفكر الأخلاقي في الفلسفة الغربية، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢- د. أبو القاسم بن احمد المعروف بالراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القران، دار احياء التراث العربي، بيروت_ لبنان، ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٨م، الطبعة الأولى.

٣- د. فاروق عبده فليه، د. احمد عبد الفتاح الزكي، معجم مصطلحات التربية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، ص٨٩

٤- د. جواد سعيد الطهراني، ترجمة، محمد رضا ال صادق، الإسلام وتجديد الحياة المعنوية في المجتمع، ذوي القربى، الطبعة الأولى، قم المقدسة، ١٩٦٥م، ص٦٣

٥- د. جمال نصار، الاخلاق بين الإسلام والمذاهب والأديان القديمة، نفس المصدر، ص٣٠٦_٣٠٧

٦- د. علي عبد الواحد وافي، الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٤٣

٧- د. باسم محمد حبيب، حضارة بلاد الرافدين قضايا ودراسات في التاريخ والاثار، مكتبة اللغة العربية للدراسات الإنسانية، ٢٠٢٢م، ص٢٥

٨- سفانة احمد داود سليمان، الضبط الاجتماعي في الإسلام، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب- قسم علم الاجتماع، جامعة الموصل، ٢٠٠٥م.

٩- عبد الحسن جواد حبيب العباسي، دور مؤسسات الضبط الاجتماعي الرسمية في مكافحة الجريمة، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الآداب-قسم علم الاجتماع، جامعة بغداد، ١٩٩٨م.

١٠- غريب سيد أحمد، علم الاجتماع ودراسة المجتمع، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،١٩٩١م، ص٢٧٩

١١- غني ناصر حسين، الضبط الاجتماعي، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١١م.

١٢- د. عبد الله الرشدان، علم اجتماع التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمُان، ٢٠٠٤م، ص٢٠٨_٢٠٩

١٣- د. سامية محمد جابر، القانون والضوابط الاجتماعية، مدخل علم الاجتماع الى فهم التوازن في المجتمع، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٩٩٧م، ص٣٤

١٤- د. إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، عمان_الاردن، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م، ص٣١

١٥- مراد وهبه، المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٨٠

١٦- د. عبد الله الخريجي، علم الاجتماع الديني، رامتان _ جدة، السعودية، الطبعة الثانية، ١٩٩٠م، ص٢٨ ص٢٩.

١٧- د. حسام الدين محمود، الضبط الاجتماعي، مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، الطبعة الأولى، ٢٠١٨م، ص١٣

١٨- د. احسان محمد الحسن، عدنان سليمان الاحمد، المدخل الى علم الاجتماع، دار وائل للنشر، عمان، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، ص٢٩٦

١٩- د. جوردن مارشال، ترجمة، محمد الجوهري واخرون، موسوعة علم الاجتماع المجلد الثاني، مصدر سابق، ص١٦٨

٢٠- جيل فيرول، ترجمة انسام محمد الاسعد، معجم مصطلحات علم الاجتماع، الطبعة الأولى، دار البحار للطباعة والنشر، بيروت_ لبنان، ٢٠١١م، ص١٣٠.

٢١- د. عبد السلام حيمر، في سوسيولوجيا الثقافة والمثقفين، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٩م، ص١٥_١٦

٢٢- د. إبراهيم ناصر، علم الاجتماع التربوي، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، عمان_الاردن، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

٢٣- د. عبد العزيز فتح الباب، بحوث ودراسات في جنوح الاحداث، المركز العربي للدراسات الأمنية، الجزء الأول، الرياض، ١٩٨٦م، ١٢٦_١٢٧.

٢٤- د. خيري خليل الجميلي، السلوك الانحرافي في إطار التخلف والتقدم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩٨م، ص٥٢.

٢٥- د. زيغمونت باومان، ترجمة سعد البازعي، بثينة الابراهيم، الاخلاق في عصر الحداثة السائلة، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، الطبعة الأولى، ٢٠١٦م، ص٢٥_١٦٩

٢٦- أنتوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ص١١٢

المصادر الأجنبية

1- Sumner, W , Folkways, The New American Library, New York, 1906, p.79.

2- Durkheim, E, The elementary forms of Religious life, London, 1 Ed, 1915, P. 149.

3- Gerad. O Donnell. mastering Sociology, Macmilan, Education LTD, London, 1 st Ed, 1985, p. 10.